الفصل الأول

رياض الأطفال
واقعها وسبل تطويرها (*)

قضية الطفولة وتنشئة الأطفال من القضايا التى تلقى اهتماما واسعا بين المفكرين والعلماء والأدباء والمفتنين على اختلاف تخصصاتهم واتجاهاتهم ، إنها قضية تستثير اهتمام المجتمع بمستوياته القطرية والقومية والدولية ، فمن حق الطفل أن يلقى رعاية مناسبة ، ومن حق الطفل أن يربى تربية سليمة ، ومن حق الطفل أن ينشأ التنشئة التى تجعل منه فى مستقبله إنسانا ، يعتز بنفسه ، ويعتز بلغته ، ويعتز بدينه ووطنه ، ويعتز به الآخرون . من حقه أن ينشأ إنسانا يستطيع أن يعيش حياته كما ينبغى أن يعيشها الإنسان ، وأن ينهض بمجتمعه العربى ويضيف إليه وينميه ويطوره ، وهذه رسالة الإنسان خلق من أجلها ، أن يعمر الأرض ويثريها وفقا لمشيئة الله تعالى .

والطفل العربى من حقه علينا أن نوفر له كافة الإمكانات التى تمكنه من الاستمتاع بحياته فى مرحلة طفولته ، والتى تمكنه أيضا من النمو إلى الصورة التى تؤهله لمواجهة هذه الحياة . إن ما ينفق على الطفل مهما كان كثيرا لا يمكن مقارنته بما يعود على الفرد إن أحسن الإنفاق ، فالعائد هنا عائد إنسانى ، وهو فى ذات الوقت استثمار لأهم الطاقات فى المجتمع العربى . إن تقدم المجتمع العربى ونموه يحتاج إلى هذا الإنسان ، إنسان يحسن استثمار قدراته العقلية ، ويحسن توظيف هذه القدرات لخيره وخير مجتمعه ، إنسان يعتز بنفسه ويعتز بحريته وحرية الآخرين (عبد السلام عبد الغفار ص ٨) .

وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل فى حياة الإنسان . ففى مرحلة الطفولة تنمو قدرات الطفل ، وتتفتح مواهبه ، ويكون قابلا للتأثير والتوجيه والتشكيل . وقد أكدت البحوث والدراسات النفسية والتربوية على خطورة هذه المرحلة العمرية ، وأهميتها فى بناء الإنسان ، وتكوين شخصيته ، وتحديد اتجاهاته فى المستقبل (فتحية

(*) ندوة رياض الأطفال واقعها وسبل تطويرها ، بغداد ١٩٨٨ .

سليمان ص ٦٤) كما تعتبر مرحلة ما قبل المدرسة مرحلة حساسة ومهمة .

إن السنوات الست الأولى من حياة الفرد هى الأساس التكوينى الذى يقوم عليه بناء الشخصية ، حيث تتحدد السمات الرئيسية للشخصية ، وغالبا ما تكون خصائص نمو الطفل فى هذه المرحلة التكوينية المبكرة بمثابة منبئات بشخصية الطفل وتطور مسار نموها فى المراحل العمرية التالية . وهذه الفترة العمرية تحتل موقعا رئيسيا من تطور عمليات نمو الفرد . هذا الموقع هو قاعدة البناء والأساس الذى ترسى عليه دعائم الشخصية ، وليس غريبا أن تطرح بعض نظريات العلاج النفسى ، وبخاصة التحليل النفسى – مبدأ تشخيصيا وعلاجيا هاما ، وهو « فَتِّشْ عن الطفل » لنبحث عن مصدر العلة فى خبرات الطفولة عند الفرد ، فبذور السعادة والشقاء عند الكبار تكمن فى طفولتهم (فيولا الببلاوى ص ١٠٨) .

وتتميز مرحلة الطفولة بإمكانية ممارسة الضبط والتوجيه التربوى خلالها على الطفل ، كما أنه من اليسير إكساب الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة السلوك المرغوب فيه ، وفقا لما يعتنقه المجتمع العربى من فلسفة ، بل إنه يمكن تنمية قدراته العقلية والمهارية وتوجيه ميوله وتنمية استعداداته .

إننا لو أردنا حقا ثورة تعليمية لم يكن لنا بد من البدء بالطفل وحواسه ؛ لنفتح له نوافذ السمع والبصر ، فيرى ويسمع ، ويجمع ما استطاع له أن يجمع من المعلومات ، وأن ندربه تدريبا متواصلا فى كل مناسبة (زكى نجيب محمود ص ١١) .

والأمر الذى لا يحتاج إلى تأكيد هو أن النمو الإنسانى عملية كلية ومتكاملة ، فلا ينبغى أن تنظر رياض الأطفال إلى جانب من جوانب النمو منفصلا عن غيره من الجوانب الأخرى ، وهذا يعنى أن نعمل على تنشئة الطفل تنشئة متكاملة تحقق نموا شاملا فى النواحى الشخصية والاجتماعية والدينية والصحية والعلمية والفنية والسياسية .

والاهتمام بتربية الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة واجب وضرورة ؛ فهى تزوده فى سن مبكرة بالقيم والاتجاهات والمبادئ التى يؤمن بها مجتمعه ؛ ومن ثم فهى تعمل على تنميته روحيا وخلقيا وفكريا وجسميا واجتماعيا . فالتربية مظهر أساسى للتعبير عن

ثقة المجتمع فى قدرته على تطوير وتغيير مستقبله بتنشئة صغاره على نحو يختلف عما يكونون عليه إذا تركوا وشأنهم دون جهد تربوى مقصود ومنظم .

والطفل لا ينمو نموا سليما إلا إذا توافرت له بيئة تربوية غنية ، مليئة بالمثيرات والمنبهات التى تتحدى طاقاته وقدراته ، والتى تعمل على تنمية قدراته الجسمية والنفسية والاجتماعية والعقلية ، والطفل ينمو فى ظل خبرات تربوية مقصودة ، يكتسب أثناءها العديد من الخبرات التى توجه نشاطه وجهة تؤدى إلى تحقيق وجوده كإنسان ، ذلك أن الفشل فى حياة الطفل المستقبلية يرجع إلى العديد من الأسباب التى من أهمها أنه لم تُهَيَّأْ له البيئة التربوية المناسبة كى ينمو بالصورة الكاملة المتكاملة التى تمكنه من الحياة كإنسان (عبد السلام عبد الغفار ص ٢) .

والأطفال الذين يلتحقون بالرياض فى مرحلة الطفولة المبكرة يستمتعون بأنواع شتى من الأنشطة التى يقبلون عليها تلقائيا . وتتضمن التلقائية بالضرورة أن الأطفال يفرحون ويسعدون وهم يمارسون أنشطة متنوعة قادرة على أن تنميهم جسميا وعقليا وخلقيا واجتماعيا .

ورياض الأطفال هى مرحلة تسبق التحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية وما يفرضه التعليم المدرسى من ضغوط وتوقعات فى عمليات التعليم والتعلم ، وما يستلزمه ذلك من إعداد وتهيئة فى سنوات ما قبل المدرسة ، كما تسبق رياض الأطفال مرحلة جماعات الأقران ؛ ولذلك فهى فترة عمرية مواتية لتعلم أسس السلوك الاجتماعى الذى يعد الطفل للتفاعل مع الحياة الاجتماعية المنظمة فى المراحل العمرية التالية وما تتطلبه من عمليات التوافق . ورياض الأطفال مرحلة الاستكشاف حيث يسعى الطفل إلى معرفة بيئته بعناصرها وعلاقاتها ، وكيف تعمل ، وكيف يكون جزءاً منها ، وما موقعه فيها . وهى فترة حساسة ، ومرحلة حرجة ، فكثيرا ما يواجه الأطفال فيها صعوبات ومشكلات ، فالطفل فى سبيل تكوين شخصية متميزة يبدى نزعة قوية إلى الاستقلال والاعتماد على النفس ، وغالبا ما يكون عنيدا غير مطيع ، سلبيا أو عدوانيا ، وقد يعانى من الغيرة ، ورياض الأطفال مرحلة مستهدفة لبعض الاضطراب وعدم الاتزان خلال سعى الطفل إلى التوافق مع بيئته وضغوطها ، مما يتطلب حكمة فى تدبير أساليب الرعاية الملائمة لوقاية الأطفال من التردى فى اضطرابات انفعالية

وسلوكية حادة ، وذلك قبل أن تتدعم وتستحكم وتصبح نمطا مسيطرا .

ورياض الأطفال مرحلة مرنة ، فيها يكون الطفل أكثر استجابة لتعديل السلوك ، فالطفل فى حالة من التشكل والتكوين ؛ وهو لذلك قابل للتغير والتعديل أكثر من أى مرحلة نمائية أخرى ، وهو أكثر استجابة للمواقف والخدمات العلاجية التى تقدم له . وهذه الفترة العمرية المبكرة مرحلة حسَّاسة للتعلم ولاستيعاب الخبرة التى يتعرضون لها أو نعرضهم لها ، فالطفل فى حالة تهيؤ من داخله لاستقبال الخبرة من خارجه دون أن تعطلها أو تصدها استجابات متعارضة أو دون أن تعمل آليات الدفاع على تقليل أو تشويه تلك الخبرة ؛ لهذا تعتبر سنوات ما قبل المدرسة مرحلة مُثْلَى للتعلم الفَعَّال ، ولتوسيع ما يعرف بإمكانات التعلم لدى الطفل ، ولتحقيق النمو بأقصى سعة لطاقات الطفل (فيولا الببلاوى ص ١٠٩) .

وتبدو أهمية رياض الأطفال وتأثيرها الواضح على الأطفال الملتحقين بها فى أن الأطفال غير الملتحقين بدور الحضانة يكونون أكثر معاناة للمشكلات النفسية : الانفعالية والاجتماعية ، ومشكلات الكلام ، من الأطفال الملتحقين بالرياض . كما أن المشكلات النفسية لدى الأطفال تقل إذا توفرت فى الرياض الإمكانات والخدمات المادية والبشرية (هناء الفطاطرى ص ١٣٥) . كما أن مدى القدرات بين الأطفال قبل التحاقهم بالمدرسة يكون هائلا بالفعل ، أما الأطفال الذين لم تمكنهم ظروفهم من الانتظام فى رياض الأطفال فإنهم يبدون بمستوى منخفض فى هذه القدرات (بيرد ص ٨٣) أضف إلى ذلك أن رياض الأطفال لها أهمية خاصة فى تكوين شخصية الطفل مستقبلا ، وأن البرامج الناجحة التى تقدمها الرياض للأطفال تساعد فى الارتفاع بمستوى الأطفال ، وتنمى ذكاءهم ، وتحقق التطور المنشود فى حياة الطفل (جريفز ص ٥٠) .

فروضة الطفل مؤسسة تربوية للأطفال من سن ٤ – ٦ سنوات ، وهى تتميز بأنشطة اللعب المنظم ذى القيمة التعليمية والاجتماعية ، وتتيح الفرص أمام الأطفال للتعبير الذاتى والتدريب على كيفية العمل والحياة معا فى ضوء بيئة الطفل وأدوات ومناهج وبرامج مختارة بعناية ؛ لتزيد من نمو الطفل وتطوره (جود ص ٤٣٧) .

ورياض الأطفال هى المؤسسات التربوية التى تلى المنزل ، ففيها تتم العمليات

التربوية الهادفة والمباشرة لتنمية شخصية الأطفال ، وتطوير قدراتهم الاجتماعية والجسمية والوجدانية والعقلية . وهى تؤدى دورا مهما وأساسيا فى نمو الطفل وتنشئته ، وهى قاعدة رئيسية للسلم التعليمى تمهد له وتجعل تكيف الطفل أمرا عاديا وميسرا ، وهذا ما يدفع أبناء المجتمع العربى إلى إلحاق أبنائهم برياض الأطفال ضمانا لمستقبلهم .

إن تربية الأطفال خلال مرحلة ما قبل المدرسة أمر هام لأى سياسة تربوية ، ولم تعد رياض الأطفال أمرا ثانويا فى أى نظام تربوى للدول المتقدمة ، فمنذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين أصبحت رياض الأطفال مجالا رئيسيا من مجالات التنشئة الاجتماعية فى المجتمعات المتقدمة ؛ حيث يتعلم الطفل بشكل غير مباشر بعض الخبرات التربوية والثقافية أثناء قيامه باللعب والأنشطة الحركية أو الاجتماعية أو المعرفية المختلفة .

ورياض الأطفال تعمل على تنمية قدرة الأطفال على الابتكار والإنجاز والاكتشاف ؛ لتميز ألعابهم بالخيال الواسع والمحاكاة ، كما تعمل على تكوين بعض المفاهيم البسيطة . ويستمتع الطفل بمحاكاة من يحب من الكبار ، وهو يحقق أهدافا تربوية عن طريق التفاعل والتعاون والحب والثقة بينه وبين المشرفات .

وتحتل دراسات طفل ما قبل المدرسة ورياض الأطفال مكانة متميزة لدى المفكرين والتربويين وخبراء الصحة والتغذية . ولم تتأت هذه المكانة إلا بعد جهود طويلة بدأت بآراء فلسفية وأثرت فى النظريات السيكولوجية والتربوية ، وأفسحت المجال لدراسات علمية مقننة أفادت بدورها فى الوقوف على المشكلات الشائعة فى رياض الأطفال على المستويات القطرية والقومية والعالمية ، وتحديد سبل علاج هذه المشكلات والتقليل منها ووضع الحلول المناسبة لها ؛ بغية تطوير الرياض من أجل تهيئة طفل ما قبل المدرسة وإعداده إعدادا نفسيا وتربويا للمدرسة .

والأسرة والروضة مؤسستان ضروريتان لتربية الطفل ، وليس من المفترض أن تضطلع الروضة بالمهام التى تقوم بها الأسرة ؛ ذلك أن الروضة ليست بديلا للأسرة ، بل إن هناك تكاملا بينهما فى الأدوار والوظائف التربوية والصحية والاجتماعية والثقافية التى تتطلبها التنشئة السليمة للأطفال ، فالروضة مطالبة أن تقوم بجهد وافر لتعوض

بعض السلبيات التى تتسم بها التربية الأسرية فى الخدمات الصحية ، وتعليم العادات الاجتماعية وأنماط السلوك الخلقى ، بل إن الرياض مطالبة بالتعويض عن التغذية السيئة أو غير المتوازنة التى تقدمها الأسرة للطفل وتعويض مختلف أشكال الحرمان من اللعب وأدواته وممارسة أنشطة رياضية وفنية وأدبية متنوعة لا تمارس فى إطار البيئة الأسرية الفقيرة . كذلك فإن حل مشكلات الطفولة المبكرة الصحية والاجتماعية والنفسية وحماية الطفل من الأمراض لا يمكن أن تقوم بها الروضة دون ما اتصال مستمر مع الأسرة ومن خلال التعاون معها (عدنان عبد الرحيم ص ٣٣) .

لهذه الاعتبارات تتضح بجلاء أهمية التعليم قبل المدرسى ، وتأثير خبرات الطفل برياض الأطفال على نموه وتنشيط هذا النمو ، وأن هذه الخبرات ترسى الأسس التى يقوم عليها بناء الشخصية ، كما يظهر تمكنه السريع من المهارات الحركية ومن الاتساق الحسى – حركى . وأن الطفل بتأثير خبرات الروضة يبدى نضجا اجتماعيا يتضح من نزعته إلى تأكيد الذات والاستقلالية والتفاعل الاجتماعى مع أقرانه ، وإلى التعاون والصداقة والتنافس والتعاطف ، كما تتضح أهمية رياض الأطفال فى التنمية الشاملة والمتوازنة للطفل ، وتهيئة الطفل للانتقال من البيت إلى المدرسة ، وتنمية الاستعداد للتعلم المدرسى والتهيؤ للانتظام فى التعليم الشكلى .

واقع رياض الأطفال على المستوى القومى

إن معرفة واقع رياض الأطفال على امتداد الأرض العربية ، ومسح هذا الواقع وتتبع المشكلات والعقبات التى تواجه قيام الرياض بوظائفها المنوطة بها – أمر يدعونا إلى استقراء البحوث والدراسات العلمية التى عنيت برياض الأطفال ، وكذا المؤتمرات والندوات والاجتماعات التى عقدت على المستويات القطرية والقومية والدولية ، وكذلك تتبع كتابات المهتمين برياض الأطفال ومعرفة أفكارهم وخبراتهم وتجاربهم الثرية ، ومن خلال هذه المصادر المتنوعة أمكن حصر وتجميع جملة من المآخذ والمشكلات التى تواجه رياض الأطفال عبر الأقطار العربية بعامة ، وجلها مثالب يجب تحديدها بداية ؛ توطئة لتحسين رياض الأطفال وتطويرها .

ويمكن عرض ما تم تجميعه من المصادر موثقاً كما يلى :

رياض الأطفال لا ينظر إليها باعتبارها مرحلة أساسية فى السلم التعليمى ، فهى تشكل أشتاتا غير مجتمعات لا تضمها فلسفة واضحة موحدة تنبثق من نظرتنا إلى هذه المرحلة المهمة فى حياة الطفل العربى ، وهنا تصبح وظيفة الرياض الإعداد للتعليم اللاحق مقولة غير محققة ، الأمر الذى يحتاج إلى مدارسة وإعادة نظر من جهة القائمين على شئون التعليم بالوطن العربى .

والكثير من رياض الأطفال تجد نفسها مرغمة على تجاوز المتعارف عليه دوليا فى قبول الأطفال بالفصل الواحد . فمعدل الأطفال للمعلمة الواحدة ارتفع من ٢٧ طفلا سنة ١٩٧٩ إلى ٥٠ طفلا الآن فى معظم رياض الأطفال . ويترتب على هذه الكثافة العالية للأطفال فى فصول الرياض الكثير من المشكلات التربوية ، فمن العسير أن تراعى المشرفة حركة النمو ومتطلباته وحاجات الطفل وقدراته وإمكاناته ، كما تؤثر هذه الكثافة العالية على حسن استغلال المساحات المخصصة للنشاط حتى تصير مؤسسة إيواء لا ترجى منها فائدة تذكر (عبد العزيز الشتاوى ص ١٩) .

ورياض الأطفال القائمة فى الوطن العربى عددها قليل بالنسبة لعدد الأطفال فى سن الرياض . وبالنظر إلى حجم هؤلاء تبدو نسبة استيعاب الرياض منخفضة جدا ، ولا يتوقع أن تكون أعلى من ٥٪ فى معظم البلدان العربية (سعد مرسى وآخرون ص ٣٦) ، أى أنه لا يتمتع بفرص التعليم قبل المدرسى سوى كم ضئيل من الشريحة المنتفعة بهذا التعليم الذى لم تعد حيويته وشرطيته لما بعده من المراحل موضع نقاش ، وهو وجه من وجوه الخروج على قاعدة تعليم أبناء الأمة العربية بالسوية (جواد رضا ص ٣) .

إن المناهج والبرامج التى تقدم لطفل الرياض لا تظهر جدواها إلا عند التقويم المرحلى أو النهائى ، ولا يمكن معرفة مخرجات هذه المناهج على أساس موضوعى إلا بواسطة دراسات ميدانية تبرز مدى استفادة الأطفال منها ، ومدى تأثير البرامج عليهم ، وهو أمر ما زال رهن البحث فى كليات التربية ، ومراكز دراسات الطفولة ، ومراكز البحوث فى معظم البلدان العربية . كما أن الأمر لا يقتصر على المناهج ،

بل يمتد إلى البنايات التعليمية وكفايات المربيات والمشرفات ، وتحديد خصائص نمو الطفل العربى ومتطلباته وحاجاته وقدراته وميوله ودراسة بيئته وأبعادها الثقافية المادية وغير المادية على المستويات القطرية والقومية والإسلامية ، وحتى نتخلى عن محاكاة ما يتصل بالطفل فى بلدان متقدمة شرقية أو غربية وما يتصل بمناهجها وما تستخدمه من طرائق وأنشطة ووسائل .

وتحديد معالم فلسفة تربوية عربية لأطفال ما قبل المدرسة يعد خطوة ضرورية وأساسية فى التخطيط لتربية أطفال ما قبل المدرسة . ويمكن أن يستفيد منها المسئولون والقائمون على تربية أطفال ما قبل المدرسة من مخططين وإداريين وقادة ومشرفات ومربيات فى تحديد الأهداف العامة والخاصة لتربية أطفال ما قبل المدرسة ، وفى الاختيار المناسب للخبرات والوسائل والأساليب فى التخطيط والتوجيه والتقويم السليم لتربية أطفال ما قبل المدرسة ، كما تساعد على فهم معنى العملية التربوية فى رياض الأطفال ، والعمل التربوى للمربيات بطريقة أفضل ، ومعالجة المشكلات التى تعترض العاملين فى ميدان تربية أطفال ما قبل المدرسة .

وهناك ممارسات جادة وسليمة فى بعض رياض الأطفال ، إلا أنها تفتقد التوازن الذى يتطلبه النمو السليم للأطفال جسيما وعقليا وانفعاليا ، حيث يتم التركيز على بعض الأهداف دون غيرها ، كالتركيز على النواحى المعرفية التى تقوم على التلقين فى كثير من الأحيان بقصد إعداد الأطفال لمرحلة التعليم الأساسى ، فصار الطفل يتعلم القراءة والكتابة والحساب ، بل صار الصغير يعود إلى المنزل محملا بالواجبات المنزلية (نادية يوسف ص ١٤٩) .

وتعانى معظم رياض الأطفال من نقص فى المعلمات والمشرفات المؤهلات ، فقليل منهن يحملن المؤهلات المناسبة للعمل فى الرياض ، وكثير منهن يحملن شهادات متوسطة أو جامعية لا علاقة لها بالرياض . وهذا الوضع يؤثر بشكل واضح على أداء المشرفات والمعلمات فى عملهن مع الأطفال ، ويؤدى إلى الكثير من المشكلات فى نمو الطفل (فوزى غبريال ص ١٠) كما أن مشرفات الرياض يعانين فى بعض الأحيان من النظرة الاجتماعية المتدنية بالمقارنة بالمعلمات فى مراحل التعليم الأخرى ، وهذا بدوره يشكل

اتجاهات سلبية نحو العمل مع الأطفال فى الرياض .

ومن مبررات تعلم طفل ما قبل المدرسة تقديم تعليم تعويضى لأبناء الطبقات المحدودة الدخل والمحرومة ثقافيا . بيد أن الملاحظات اليومية تكشف عن ارتباط هذا النوع من التعليم قبل المدرسى بأبناء البيئات القادرة . إن الذين يحتاجون إلى هذا التعليم هم أكثر الأطفال حرمانا منه ، ذلك أن فئة الأطفال المحدودة الدخل لا يحصلون على تعليم قبل مدرسى ، إنهم يدخلون إلى المدرسة دون إعداد أو تهيئة ، أما أترابهم من القادرين فإنهم يحصلون على هذه التهيئة وهذا الإعداد قبل المدرسى ، ويدخلون المدرسة فيتفوقون على أقرانهم فى التعليم المدرسى اللاحق . وهذا الوضع الطبقى لا يحقق الفرص التعليمية المتكافئة بين الأطفال ويربط التعليم بالتفاوت الطبقى (فكرى شحاتة أحمد ص ٥٥٣) .

وانتشار رياض الأطفال يتسم باختلال التوازن بين الريف والحضر ؛ إذ تكثر الرياض فى المدن إلى أن تصل نسبتها إلى ٨٠٪ وتتعداها فى بعض الحالات إلى ١٠٠٪ . ولعل ذلك مَرَدُّهُ خروج المرأة الحضرية إلى سوق العمل ، واختلال التوازن فى المرافق والخدمات المتاحة لكل من الريف والحضر (عبد العزيز الشتاوى وعادل الأحمر ص ١٠) .

وهذا التوازن المفقود بين الريف والحضر يعنى أن عددا هائلا من أطفال الريف يعيشون خارج رحاب رياض الأطفال ، ولا تلبى حاجات نموهم إلا عن طريق الأسرة ، وهذه الأسرة الريفية العربية تعانى من تبعات التخلف الاقتصادى ، والجهل المتفشى داخل بعض المجتمعات العربية ؛ إذ تبلغ نسبة الأمية فيها ٥٠٪ فى أغلب الأحيان ، وتصل إلى حد ٨٠٪ فى بعض الحالات ، وخاصة بين الأمهات ، ويترتب على ذلك كله أن الأمهات والآباء يفتقدون الوعى بخطورة السنوات الأولى من حياة الطفل ، وأهمية التربية والرعاية الصحية والنفسية فى هذه المرحلة العمرية .

ويتميز واقع رياض الأطفال فى الوطن العربى بتوافر إطار قانونى تشريعى فى جل الأقطار العربية يحدد الأهداف العامة للرياض ومشمولاتها ومهامها ويضبط شروط فتح وسير العمل فى مختلف النواحى (عبد العزيز الشتاوى ص ٢٠) بيد أن النصوص

التشريعية تتفاوت من قطر عربى إلى آخر من حيث أوزانها النسبية وتطبيقاتها التربوية ، والمواصفات المعمارية المطلوب توافرها فى الروضة ، والمشرفات والمربيات . إن التسامح فى تطبيق النصوص التشريعية تبرره قلة الكوادر التربوية المتخصصة فى التربية قبل المدرسية ، وقد يتم تجاوز هذه المشكلة فى المستقبل إذا حققت الدول العربية اكتفاءها فى هذا الميدان .

ويشير واقع التربية قبل المدرسية إلى أن البنايات المخصصة لرياض الأطفال لا تشكل إلا نسبة ضئيلة من البنايات المتوافرة الشروط والمواصفات ، فغالبية البنايات مساكن عادية أُدْخِلَتْ عليها بعضُ التعديلات ، وهى فقيرة من حيث الساحات والمساحات التى تناسب الأنشطة المنوطة بأطفال الرياض ، والتى تساعد على تحقيق علاقات وظيفية تيسر التحول من نشاط إلى نشاط بطريقة منهجية ، أضف إلى ذلك قلة توافر معطيات تتصل بسلامة الأطفال وأمنهم . وبالرغم من التقدم فى إنشاء رياض الأطفال فى القرن العشرين وزيادة عددها فإن هناك تخلفا كثيرا من حيث الكيف الذى يقصد به مواصفات إنشاء رياض الأطفال ، وتحديد مستوى كفاءتها فى القيام بمهامها التربوية والاجتماعية . أى أن هناك فجوة بين ما هو قائم بالفعل من هذه الرياض وبين ما ينبغى أن يكون .

وتتنوع السلطات الإشرافية على الرياض وتتسع هذه السلطات لتشمل وزارات التربية والتعليم ، والشئون الاجتماعية كما فى مصر ، والشباب والرياضة كما هو الشأن فى تونس ، أو وزارة الداخلية ووزارة التربية مثل العراق . أما احتضان وزارات التربية فى أقطار عربية أخرى فإنه لا يعنى بالضرورة أن مرحلة رياض الأطفال صارت جزءاً من السلم التعليمى ، إن أغلب الدول العربية لا تدرج هذه المرحلة قبل المدرسية فى سلمها التعليمى (الحولية العربية للتربية) .

والسلطات الإشرافية هذه تمنح الترخيص لفتح الرياض ، وتخطيط المناهج وإعداد البرامج ومتابعة التطبيق إداريا وصحيا وتربويا ونفسيا وتدريب المشرفات وتقديم العون المالى ، وتزويد الرياض بالأثاث والأجهزة والمعدات ، غير أن هذه السلطات الإشرافية قد تنوعت فى الأقطار العربية : فبعضها يتبع القطاع الحكومى ، وبعضها

يتبع القطاع الخاص . وبعضها يشارك فيه القطاعُ الخاص القطاعَ الحكومى فى الإشراف والتوجيه لرياض الأطفال . وهذا التنوع فى السلطات الإشرافية ينعكس بدوره على الإمكانات المتاحة للرياض ، والرؤى الفلسفية والخبرات التعليمية ونوعية البرامج وحجم الأنشطة ونوعية البنايات ، وهذا كله له أثره الواضح على تشكيل الأطفال فى هذه الرياض المتنوعة التبعية والإشراف . وهذا التنوع فى السلطات الإشرافية بين حكومية وخاصة أثار جدلا لم يحسم حتى الآن : فهناك من يرون أن القطاع الخاص ضرورى وأساسى فى مرحلة ما قبل التعليم المدرسى ، فهو يؤدى خدمات قيمة للمجتمع ، ويخفف العبء المُلْقَى على كاهل الحكومة ، ويؤدى خدمة تعليمية على مستوى راقٍ ، ويوفر خبرات تربوية ثرية للأطفال . بيد أن هناك فريقا آخر يرى أن القطاع الخاص يسعى عادة إلى الاستثمار المادى على حساب الاستثمار التربوى ، وأنه لا يولى الجانب التربوى عناية كافية ، كما أن الرسوم والأموال التى تحصل من الآباء مرتفعة إذا ما قورنت بالمبالغ الرمزية التى تحصلها الرياض الحكومية . ويرى فريق ثالث أنه لا ضرر من مشاركة القطاع غير الحكومى فى الإشراف على الرياض ما دامت الأمور الصحية والتربوية والنفسية متوافرة ، وما دام هناك إطار تشريعى تلتزم به رياض الأطفال على اختلاف السلطات الإشرافية التى تتبعها .

ويعانى تعليم ما قبل المدرسة من نقص الإمكانات فى بعض البلاد العربية وسوء الظروف اللازمة لرعاية الأطفال ، وتفاوت الإمكانات المتاحة للرياض : فمنها ما يتم فى شقة بالدور الأرضى لإحدى العمارات ، أو صالة فى مبنى ، أو مكان فى مكاتب إدارية ، وبصفة عامة لا توجد مطابخ أو دورات مياه خاصة بالأطفال أو أفنية مناسبة ، كما أن بعض الرياض ملحقة بالمدارس الابتدائية يخصص لها جزء صغير جدا من الفناء لا يتناسب مع عدد الأطفال الموجودين فيه (منى على جاد ص ٣٤٩) . وهذا كله لا يساعد فى تحقيق أهداف الرياض ، ولا يساعد ضيق الأفنية ظروف نمو الطفل واعتماده على الحركة والنشاط واللعب وتوفير الفرصة للنمو والانطلاق دونما عوائق أو حواجز .

ويعتمد معظم رياض الأطفال على التمويل الذاتى بفرض رسوم مصروفات على

الأطفال المستفيدين أو الإفادة من بعض المساعدات التى تقدمها بعض الوزارات أو الجمعيات الخيرية أو المعونات الأجنبية . وهذا التمويل بوضعه الراهن يهدد استقرار واستمرار رياض الأطفال ، كما أنه يتيح لأبناء بعض الفئات الحصول على تعليم قبل مدرسى أفضل من أبناء فئات أخرى ، ومن ناحية أخرى فإن أبناء فئة أخرى لا يحصلون على تعليم قبل مدرسى ؛ لأنهم من غير القادرين ، كما أن مستوى التمويل الذى تحصل عليه الروضة سواء من المصروفات أو الرسوم أو الإعانات والمساعدات – يساعد فى اختلاف جودة الرعاية المقدمة للأطفال (فكرى شحاته أحمد ص ٥٥٠) .

إن بعض رياض الأطفال هى أماكن أعدت فقط لإيواء الأطفال أثناء غياب أمهاتهم فى العمل ؛ ومن ثم فلا يوجد اهتمام بتهيئة هؤلاء الأطفال وإعدادهم للمدرسة ، كما أن برامج وخطط العمل فى هذه الرياض تقتصر على حفظ الأناشيد والأغانى وسماع القصص ، أضف إلى ذلك عدم تواجد مشرفات مؤهلات للعمل فى الكثير من رياض الأطفال .

وبعض رياض الأطفال يشبه المدرسة الابتدائية فى مناهجها القائمة على أساس التدريس الرسمى أو الشكلى بمعناه الجاف والتقليدى ، فهى تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب وإحدى اللغات الحية فى فصول تتطلب السكون وعدم الحركة ، ولا تستهدف تربية الطفل من خلال اللعب . إنها تقدم للطفل الكتب المقررة ، وعلى الطفل أن يستوعبها ؛ لكى يحقق فيها النجاح . وهكذا تمضى الساعات والطفل جالس محروم من الحركة ، والجميع سعداء لاعتقادهم أنهم يعدونه للمدرسة . إنهم فى الحقيقة يضحون بطفولته ويخمدون فيه القدرة على التعلم التلقائى عن طريق اللعب وتدريب الحواس .

ومازال الكثير من الآباء والأمهات يعتقدون أن الهدف من مرحلة ما قبل التعليم المدرسى هو تعليم الطفل مبادئ العلوم الأساسية ، الأمر الذى يتنافى مع طبيعة الرياض باعتبارها مرحلة إكساب الطفل العديد من الخبرات والمهارات الذهنية والاجتماعية والنفسية والجسمية عن طريق اللعب والنشاط واستخدام الحواس .

وهناك نقص ملحوظ فى توفير البيئة التربوية بمثيراتها ومنبهاتها فى رياض الأطفال ، ومن شأن هذا النقص ألا يعطى للطفل فرصة النمو المتكامل ، ويلقى عبئا على الآباء والمشرفات يدعو إلى إيجاد مواجهة شاملة وتخطيط عام متكامل ، لا يقتصر فقط على ما يوجه لخدمات الطفل ، فالكبار أيضا فى حاجة إلى من يرشدهم ويساعدهم على معرفة الأسلوب المناسب لتوفير وتهيئة بيئة مناسبة لنمو أطفالهم (إلهام عبيد ص ٢٦٥) .

سبل تطوير رياض الأطفال

إن نظرة مستقبلية لرياض الأطفال فى ضوء ما أسفر عنه مسح الواقع تدعونا إلى نسج رياض الغد على أساس الإيمان الصادق بأهمية العناية بالطفولة وتنشئة الأطفال ورعايتهم ، بضرورة تربية طفل ما قبل المدرسة تربية شاملة متكاملة ، والأخذ بالمتغيرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية الحادثة فى المجتمع العربى ، والإمكانات التى يجب أن نحشدها لتهيئة وإعداد طفل ما قبل المدرسة ، وفى ضوء معطيات البحوث العلمية التى أجريت فى مجال رياض الأطفال ، والخبرات الثرية التى تناثرت عبر رياض الوطن العربى ، وعبر الرياض على المستويات القطرية والعالمية ، وعلى هدى من تلك التوجهات الوظيفية والعملية التى تمخضت عن الندوات والمؤتمرات العربية والدولية ، وعلى ضوء استراتيجية التربية العربية .

إن للمجلس العربى للطفولة والتنمية دوراً واضحا فى تطوير رياض الأطفال . فهو يؤمن بأن مستقبل الأمة العربية يتوقف على بناء أجيال الطفولة الحاضرة ، وبأن صياغة المستقبل لابد أن تستجيب لاحتياجات الأطفال العرب ، وتستلهم روح العصر ، وتعتمد على التخطيط العلمى . والمجلس العربى للطفولة والتنمية يؤكد على حق الأطفال العرب فى الحياة والحرية والكرامة ، حقهم فى ثقافة أغنى ، ووطن أعز ، وأمة أقوى ، ويؤكد على ضرورة تعبئة الجهود العربية الفكرية والروحية والمادية من أجل حسن تنشئة أطفال الأمة العربية وحسن رعايتهم .

إن أول ما اهتم به المجلس العربى للطفولة والتنمية هو طفل ما قبل المدرسة ،

ومن هذا المنطلق جاء اهتمامه برياض الأطفال ، فبدأ بحصر البحوث والدراسات والكتابات المتخصصة التى عنيت بطفل الحضانة والرياض ، وقد أنجزت فى ضوئها الدراسة الحالية . إن إقامة قاعدة معلومات إحصائية ونوعية حول رياض الأطفال : تشريعاتها وأبنيتها وبرامجها ومناهجها وأنشطتها والجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية لطفل الرياض ، والمشرفات والعاملين بالرياض كفاءاتهم ومواصفاتهم – تعد قاعدة مرجعية يفيد منها متخذ القرار والباحث العربى من أجل حسن تنشئة الطفل العربى وحسن رعايته .

ويمكن الآن التقدم بمجموعة من السبل لتطوير التربية قبل المدرسية فى مرحلة رياض الأطفال كما يلى :

إن المناهج التى تعد لطفل ما قبل المدرسة ، وخاصة أطفال الرياض – يجب أن تنهض على أساس أن الهدف منها ليس هو التدريس كما هو الحال فى المراحل التعليمية الأخرى ، بل التنمية الشاملة لحواس الطفل وقدراته ومهاراته وميوله واتجاهاته واكتشاف مواهبه وتربيته تربية شاملة ومتكاملة : صحيا ، وعقليا ، واجتماعيا ، ووجدانيا ، وتهيئته للمدرسة الابتدائية ولتقبل ما تقدمه المدرسة لأطفالها .

كما يجب الاتفاق بين المناهج التى تعد طفل الرياض فى البلدان العربية على نوعية البرامج والأنشطة والوسائل التى يمكن أن تحقق أهداف الرياض ، وكذلك تجهيزات الرياض وساحاتها التى يمارس فيها الأطفال أنشطتهم التربوية ، وأدوار المربيات والمشرفات وأدوار الأطفال فى تحقيق هذه الأهداف .

ومنهج رياض الأطفال يجب أن يتكون من قاعدة عريضة من الخبرات المتعددة المتنوعة المتكاملة المتداخلة ؛ ومن ثم فلا موضع لصياغته فى أسلوب من المواد أو المقررات . أو النظر إليه على أنه مستودع معلومات وحقائق . ومنهجٌ هذا من شَأْنه يجب أن يقوم على النشاط الحركى ويشبع استطلاع الطفل ، وينبع من داخله ولا يفرض عليه ، ويكون مصدره بيئة الطفل بمواقفها وعناصرها ، ويتنوع بالتالى بتنوع البيئات ، ويكون من المرونة بحيث يواجه الفروق الفردية بين الأطفال فى الميول والاهتمامات والقدرات . والعناية واجبة لتوفير البيئة التربوية التى من شأنها تنشئة

الطفل اجتماعيا وتربيته تربية متكاملة ، فهى تهتم بتنمية لغة الطفل بما يتمشى مع قدراته وإمكاناته ، وإتاحة الفرصة بينه وبين أقرانه للتواصل ، وتهتم التربية أيضا بتكوين الميول والاتجاهات والقيم من نظافة ، وتعاون ومشاركة ، وحب للعمل ، واحترامه وتقديره ، وبنمو الطفل جسميا ، وعقليا ، ووجدانيا ، واجتماعيا . يضاف إلى ذلك أن اللعب يساعد الطفل على اكتساب خبرات الحياة والتعبير عنها .

وتتطلب برامج رياض الأطفال استخدام ما يلائم الطفل من أنشطة ووسائل وَدُمَى وألعاب وكتب ، والصور التى تثير الأطفال وخيالهم وتدفعهم لممارسة الأنشطة والألعاب والأعمال اليدوية . كما ندربه على التمييز البصرى والسمعى للحروف والألوان والأشكال والأصوات ، وممارسة مهارات الفهم على المستوى الشفوى باستعمال القصص المصورة والكتب والسجلات والأفلام الثابتة التى تنمى إدراك التفاصيل وتكوين فكرة أساسية وإدراك التتابع والاستنتاج والتصنيف واستعمال الكتب : فتحها وتقليب صفحاتها وأَلْفَتهَا . وتنمية الثروة اللغوية عن طريق الأغانى والقصص والمترادفات والتضاد والصفات ، وتنمية مهارات الاستماع من اتباع التعليمات ، والتمثيل ، مع مراعاة أن إمتاع الأطفال الصغار وتعليمهم يتم فى آن واحد .

واستخدام الحروف المشخصة التى على شكل أشخاص وهى ملونة ومنفوخة – تناسب خيال الأطفال ، وينظرون إليها على أنها أصدقاء لهم ، والعمل واللعب بهذه الحروف المشخصة يرقى الاتصال اللغوى الشفوى ، حيث يتيح الفرصة أمام الطفل بالحديث إلى الحروف والحديث عنها والمناقشة والشرح وقص القصص وتبادل الرسائل والمحادثات الهاتفية ، وينطق الأطفال الحروف يسمعون أصواتها فى كلمات . وهذا ما يتيح للأطفال الفرصة لاستعمال الكلام الصحيح ، والتدريب على التمييز الشفوى السمعى ، وهنا يجب التأكيد على أن البرنامج اللغوى الجيد يحقق لطفل الرياض السيطرة على اللغة بغير إكراه ، ومن خلال الحركة واللعب والنشاط مثل ترديد نشيد مصحوبا بالموسيقا وباللعب والحركة ، واستعمال نماذج لغوية للاستفهام ورواية خبر .

أضف إلى ذلك كله أن يكون الطابع العربى سائدا فى مختلف المناشط التى

تقدم فى الروضة كالأناشيد والقصص والقدوة والأبطال والتمثيليات ، كما تكون لغة التعامل هى العربية السليمة المبسطة (رياض الأطفال : الواقع والطموح ص ٨) .

إن إتاحة فرصة لتهيئة طفل ما قبل المدرسة وإعداده إعدادا شاملا ومتكاملا : جسميا ووجدانيا واجتماعيا وعقليا أمر أساسى وضرورى ، شريطة أن يكون هذا الإعداد حقا لكل الأطفال ، وضرورة للأطفال المحرومين ثقافيا واجتماعيا قبل غيرهم ، وباعتبار تكامل رياض الأطفال والتعليم المدرسى ، على أن تكون الرياض الخطوة الأولى فى السلم التعليمى لأطفال المدرسة ، وعلى أن يكون الإشراف عليها ومتابعتها من قِبَلِ وزارات التربية والتعليم فى الوطن العربى .

وإعدادُ برامجَ مناسبةٍ لرياض الأطفال تراعى خصائص نمو الأطفال ومتطلبات نموهم وآراء وأفكار المفكرين التربويين أَمْرٌ أساسىٌّ وضرورى ، شريطة أن تحدد أهداف مناهج كل صف من صفوف رياض الأطفال فى صياغة إجرائية واضحة ، وأن توضع وحدات المنهج فى خطوط عريضة متضمنة بدائل متعددة للمناشط التى يمكن للمعلمة أن تتخير منها ما يتناسب وظروف البيئة المحلية .

وهذه البرامج لابد لها من مبانٍ خاصة برياض الأطفال تساعد فى تحقيق الأنشطة المتنوعة للطفل وحاجاته ، بحيث تراعى النمو الجسمى للطفل وميله إلى اللعب والنشاط والحركة . كما يجب أن تكرس الدول العربية فى خططها التنموية مكانة بارزة للتوسع فى إنشاء رياض الأطفال على نحو مدروس (رياض الأطفال : الواقع والطموح ص ١٠) .

وتوعية الآباء والأمهات والمشرفات بأهمية مرحلة رياض الأطفال وطبيعة أهدافها . وما تقدمه الروضة لتحقيق أهداف الرياض – أمر مرغوب فيه لإنجاح رياض الأطفال ولتغيير اتجاهات أولياء الأمور بحيث لا تتعارض واتجاهات التربية السليمة التى تتبناها الرياض ، وفى هذا الصدد يمكن أن تتعاون وسائل الاتصال الجماهيرية والمساجد فى هذه التوعية ، كما تقدم وزارات التربية نشرات دورية مبسطة وموجهة للآباء والأمهات ، وعقد اللقاءات معهم لتوعيتهم بدور الأسرة فى التعاون مع الروضة بما يحقق الاتساق فى الوصول إلى الأهداف .

إن رياض الأطفال عليها أن تعتبر اللعب حقا لكل طفل وليست ترفا ، فهو أسلوب تربوى لتربية الطفل فى هذه السن إذا ما أُحْسِنَ توجيهه . والإيمان بأهداف اللعب التربوى فى مرحلة الرياض وسيلة لتنمية قدرات الطفل الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والابتكارية ؛ ولذا يجب توفير المساحات المتسعة للعب لتنمية الجانب الجسمى ، وإتاحة الفرص أمام الطفل للعب مع رفاقه لنمو الجانب النفسى والاجتماعى ، وتوفير اللعب التعليمية بأسعار مقبولة لتنمية الناحية العقلية والابتكارية وتنمية الجانب الجمالى والابتكارى والخلقى لدى الطفل بتوفير أماكن غنية بالنباتات والزهور والحيوانات ، كما أن توعية أولياء الأمور بأهمية اللعب عامل من العوامل الرئيسية فى نمو وتربية الطفل (إلهام عبيد ص ٢٦٥) .

وتستطيع رياض الأطفال أن تتيح الفرص أمام الأطفال لممارسة النشاط التمثيلى ، حيث يمارس الطفل الدور الذى يحبه أو يتقمص أدوارا فى مواقف خيالية . فالنشاط التمثيلى نشاط تربوى مفيد ينمى قدرات الطفل ، ويطور لغته ويسعد الطفل ويمتعه . كما أن اللعب التمثيلى يفيد فى علاج بعض الاضطرابات الوجدانية والمشكلات النفسية التى يعانى منها بعض أطفال الرياض (ك . تيلور ص ٩١) .

ويسعد الأطفال فى الرياض عندما يشاهدون التمثيليات والمسرحيات ذات الفصل الواحد التى يشارك فيها الأطفالُ الكبارَ ، شريطةَ أن تكون هذه التمثيليات والمسرحيات مناسبة لتفكيرهم ، مثيرة لهم ، داعية لإسعادهم خاصة باستخدام مسرح العرائس .

ويحقق اللعب للطفل فوائد مثمرة على المستويات الحركية المهارية والوجدانية والمعرفية ؛ ولذلك يجب أن توفر الرياض لأطفالها جميع ألوان الألعاب التى يميلون إليها مثل أدوات القفز والتسلق والأرجوحة والدمى والكرة ، بل إن البرامج يجب أن تُبْنَى على أساس نشاط الطفل وحبه للعب .

ويساعد النشاط الموسيقى على تنمية الوعى الفنى والتذوق للإيقاع والنغم ، وتنمية الإدراك الحسى والقدرة على الاستماع وآدابه ؛ ولذلك وجب الالتفات إلى هذا النشاط الموسيقى وتعميمه بالرياض ، شريطة أن تكون الأغانى مرتبطة بالطفل وأسرته

ووطنه العربى .

ويعتبر التلفاز التعليمى وسيلة تعليمية ناجحة فى تعديل سلوك أطفال الرياض وإكسابهم أنماطا سلوكية جديدة ولغوية نقية وثقافية وترفيهية ضرورية ، شريطة إشراك ذوى الخبرة فى المجالات الإعلامية والتربوية والنفسية فى وضع خطة تربوية تخدم أطفال الرياض . وتحقق أهدافها .

والقياسات الجسمية هى إحدى الوسائل المهمة فى تقدم نمو الطفل ، وإنها تمثل المعايير اللازمة للحكم على الحالة الصحية والنمو الجسمانى للطفل عن طريق تكرار قياس طول الطفل ووزنه ، كما أن للقياسات الجسمية علاقات بالكثير من المجالات الحيوية ، فالنمو الجسمى له علاقة بالصحة والتوافق الاجتماعى والانفعالى للطفل (كوثر الموجى ص ٤٨٢) .

إن تبنى مفهوم التربية المتزنة والشاملة لطفل ما قبل المدرسة أمر ضرورى وأساسى لمعرفة القياسات الجسمية لأطفالنا العرب فى مراحل نموهم المختلفة وكيفية إعداد البرامج المناسبة لأداء المهارات الحركية والترويحية . إن ممارسة أطفالنا للأنشطة الحركية والترويحية فى رياض الأطفال لها انعكاساتها المفيدة فى تحسين المهارات الحركية والقياسات الجسمية ؛ فالحركة جوهرية لنمو الطفل وضرورة حيوية للنمو البدنى السليم .

إن الاهتمام بدراسة مظاهر النمو البدنى لأطفال الرياض وإجراء قياسات تتبعية ومتابعة الانثروبومترى للأطفال يتيح الفرص لمعرفة الأطفال الذين تنقصهم المهارة الحركية أو يتسمون بالنحافة الشديدة أو البدانة المفرطة ، ومزاولة النشاط الحركى المناسب كوسيلة لعلاج العديد من المشكلات ، كما أن تنمية المهارات الحركية الأساسية لأطفال الرياض لتتمشى مع معدلات نموهم فى القياسات الجسمية – أمر لا يحتاج إلى تأكيد . إن استخدام معدلات القياسات الجسمية الخاصة بأطفالنا العرب أمر جوهرى وأساسى لصنع الألعاب المناسبة فى الحجم والقدرات الجسمية والحركية لأطفال الرياض .

والتعاون بين رياض الأطفال والعيادات الصحية والمشافى العاملة فى إطار البيئة أمر ضرورى وأساسى للعناية بصحة الطفل ووقايته من الأمراض . ويمكن أن يتمثل

هذا التعاون المنشود فى زيارات دائمة ومنظمة للأطباء العاملين فى العيادات والمشافى للرياض وكتابة ملاحظاتهم فى بطاقات الأطفال الصحية المعدة من قِبَلِ الإدارة ، وتقديم التوجيهات والإرشادات الصحية المتعلقة بتغذية الطفل ، وأمراض الطفولة واللقاح ، وشروط نظافة الروضة ، والعناية الصحية بالأطفال . ومن المفترض أن تلعب الجهود التطوعية المجانية من قِبَلِ الأطباء والمشرفين الصحيين دوراً رائدا فى هذا المجال لتأكيد الالتزام الاجتماعى بصحة الطفل وحماية نموه الجسدى والعقلى . وتستطيع المربيات والمشرفات العاملات فى الروضة تقديم توجيه صحى للأمهات فى إطار اجتماع مجالس الآباء ، وكذلك تقديم ملاحظات محددة حول أمراض البيئة وطرق الوقاية من هذه الأمراض ؛ لأن تحسين شروط البيئة الأسرية الصحية وزيادة وعى الأم الصحى يقلل إلى حد كبير من تعرض الأطفال للأمراض البيئية ، ويخفف من إصابات الأطفال المرضية داخل الروضة (عدنان عبد الرحيم ص ٣٤) .

وتعاون الروضة والمؤسسات الاجتماعية والجماعات الأدبية والفنية والثقافية فى بيئتها أمر ضرورى ؛ كى تتطور أنشطة الروضة وتظهر تأثيراتها الإيجابية على البيئة المحيطة بها . وعلى إدارة الروضة أن تتخذ جملة من المبادرات الكفيلة بدفع تلك الجماعات إلى إغناء الروضة بأنشطتها ؛ فهى تستفيد من المكتبات والمسارح والحدائق والنوادى والمساجد وأماكن التاريخ المحلى عند تخطيط برامجها وأنشطتها المختلفة ، وتستفيد من الخبرات البشرية وأهل الفكر من الآباء والعاملين فى البيئة المحيطة بالروضة فى تطوير العمل التربوى الاجتماعى للروضة ومدها بالخبرات العلمية والفنية المتوفرة فى البيئة ، ومشاركتهم فى احتفالاتها وأنشطتها . وبذلك تحقق الروضة التطبيع الاجتماعى السليم للطفل وربطه ببيئته وتعريفه بمسئولياته الاجتماعية وحقوقه وتطوير مواهبه وإمكاناته المختلفة .

ووضع رياض الأطفال فى الوطن العربى تحت الإشراف التربوى الجاد لوزارات التربية أو كليات التربية التى بها أقسام للطفولة أمر مرغوب فيه ؛ حتى تتوفر فى هذه الرياض بيئات تربوية ثرية وبرامج مناسبة لتحقيق أهداف تربية طفل ما قبل المدرسة ، وحتى تتوفر فى الرياض مشرفات مؤهلات تربويا ونفسيا للتعامل مع الطفل بفاعلية

ونجاح ، وحتى نستبدل بأساليب التربية الجماعية الماثل الآن فى الرياض أساليبَ تفريد التعليم التى تراعى الفروق فى الإمكانات ، والقدرات والاستعدادات بين أطفالنا العرب .

إن حسن اختيار المشرفات وحسن إعدادهن ثم تدريبهن أثناء الخدمة شروط أساسية لإنجاح مرحلة التربية قبل المدرسية ؛ حيث تتطلب الرياض بصفة عامة مشرفات مربيات لهن من المعرفة بأصول علم نفس الطفل وأمور الصحة والتغذية والأساليب التربوية الحديثة ما يمكنهن من مواكبة نمو الطفل وتوجيهه الوجهة الصحيحة فى مرحلة هى من أخطر مراحل النمو الإنسانى .

إن المهتمين برياض الأطفال على امتداد الأرض العربية فى انتظار أن تفتح كليات التربية ومعاهد المعلمات العالية أبوابها فى جميع البلدان العربية أمام المرشحات للعمل فى مجال التربية قبل المدرسية ، وهو أمر بات قريب المنال ، خاصة أن بعض البلدان العربية قد بدأت فى هذا الطريق ، وسارت فيه شوطا ليس بالقصير . وبلوغ صيغة مُثْلَى للعمل العربى المشترك فى ميدان التربية قبل المدرسية يتطلب المرور فى مرحلتين (سعد مرسى وآخرون ص ٨٠) :

المرحلة الأولى : يتم فيها وضع الأسس الأولية للعمل المشترك فى مجال إعداد المشرفات والبرامج والمناهج التى تقدم لأطفال الرياض تخطيطا وتنفيذا وتقويما ، وذلك من خلال تبادل الخبرات والتجارب والمعلومات ونتائج البحوث ، ومن خلال تنظيم الندوات والمؤتمرات قصد التشاور والتنسيق والتخطيط للمستقبل . يمكن فى هذه المرحلة الشروع فى إقامة بعض المشاريع والتجارب المشتركة خاصة بين الأقطار المتجانسة من الناحية الجغرافية أو الاجتماعية (الخليج العربى – المغرب العربى) .

المرحلة الثانية : يقع العمل أثناء هذه المرحلة على إنجاز مشاريع مشتركة ، ولاسيما فى ميادين صناعة اللعب والألعاب وإنتاج الأفلام السينمائية وبرامج التلفاز والمواد التعليمية المقروءة والمسموعة والمرئية ، كما تمتاز هذه المرحلة بالسعى إلى توحيد فلسفة وأهداف مؤسسات التربية قبل المدرسية ، والمؤشرات العامة للمناهج والأنشطة التى تتضمنها ، وتوحيد خطط التدريب وأساليبه بالنسبة للعاملات داخل هذه المؤسسات .

* * *